الزلازل

دروس وعبر

جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

دار الفرقان للنشر والتوزيع

20 شارع أحمد حسينة - باب الواحي - الجزائر (العاصمة)

00213 (0) 556 96 58 10

dar.alfurquan@gmail.com

الزلازل

دروس وعبر

جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحَمْدُ لله مُعِزِّ مَنْ أَطَاعَه وَاتَّقَاه، وَمُذِلِّ مَنْ أَضَاعَ أَمْرَهُ وَعَصَاه، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ جَزِيلِ كَرَمِهِ وَمَا أَوْلَاه، وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ آلَائِهِ وَمَا أَسْدَاه، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَا رَبَّ سِوَاه، مَا خَابَ مَنْ دَعَاه، وَلَا يَئِسَ مَنْ رَجَاه.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْر عَبْدٍ اصْطَفَاه، صَلَّىٰ الله عَلَيْه وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ كَانَ هَوَاهُ تَبَعًا لِهُدَاه.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي الله..إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله.

تَنَبَّهُوا وَانْتَبِهُوا..وَاحْذَرُوا وَحَذِّرُوا..وَتَذَكَّرُوا وَذَكِّرُوا..وَاعْلَمُوا وَعَلِّمُوا أَنَّ المَعَاصِيَ وَالذُّنُوب خَطَرٌ عَلَىٰ الأَبْدَانِ وَالقُلُوب، وَأَثَرهَا ظَاهِرٌ عَلَىٰ الأَوْطَانِ وَالشُّعُوب، وَهِيَ سَبَبٌ لِسَخَطِ عَلَّامِ الغُيُوب ﷻ.

كَمْ جَلَبَتْ مِنْ مَصَائِب..وَحَلَّتْ بِهَا مِنْ مَتَاعِب؟!

كَـمْ زَالَتْ بِهَا مِنْ نِعَم..وَحَصَلَتْ بِهَا مِنْ نِقَم؟!

بِهَا تَتَوَالَىٰ المِحَن، وَتَتَدَاعَىٰ الفِتَن، وَبِالمَعَاصِي تَتَعَسَّرُ شُؤُونُ العَاصِي: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

فَالعِزَّةُ كُلُّ العِزَّةِ فِي طَاعَةِ الله، وَالذِّلَّةُ كُلُّ الذِّلَّةِ فِي مَعْصِيَةِ الله، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [سُورَةُ فَاطِر: ١٠].

وَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠﴾ [سُورَةُ المُجَادِلَة].

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّهُمْ (أَيْ العُصَاة) وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمْ البِغَال، وَهَمْلَجَتْ بِهِمْ البَرَاذِين فَإِنَّ ذُلَّ المَعْصِيَةِ لَا تُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ؛ أَبَىٰ الله إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاه» «الجَوَابُ الكَافِي» (ص٣٨).

إِخْوَانِي فِي الله:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الزَّوَاجِرِ لِاجْتِنَابِ ارْتِكَابِ المَعَاصِي (الصَّغَائِرِ وَالكَبَائِرِ) النَّظَرَ فِي مَآلَاتِهَا وَآثَارِهَا السَّيِّئَة؛ فَمِنْهَا: «قِلَّةُ التَّوْفِيق، وَفَسَادُ الرَّأْيِ، وَخَفَاءُ الحَقِّ، وَفَسَادُ القَلْبِ، وَخُمُولُ الذِّكْر، وَإِضَاعَةُ الوَقْت، وَنُفْرَةُ الخَلْق، وَالوَحْشَةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَمَنْعُ إِجَابَةِ الدُّعَاء، وَقَسْوَةُ القَلْبِ، وَمَحْقُ البَرَكَةِ فِي الرِّزْقِ

وَالعُمْرِ، وَحِرْمَانُ العِلْمِ، وَلِبَاسُ الذُّلِّ، وَإِهَانَةُ العَدُوِّ، وَضَيْقُ الصَّدْرِ، وَالابْتِلَاءُ بِقُرَنَاءِ السُّوءِ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ القَلْبَ وَيُضَيِّعُونَ الوَقْتَ، وَطُولُ الهَمِّ وَالغَمِّ، وَضَنَكُ المَعِيشَةِ» «الفَوَائِدُ» (ص٣٣).

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سُورَةُ الرُّومِ].

وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ بَعْضَ الآثَارِ لِبَعْضِ المَعَاصِي فَقَالَ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينِ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه (٤٠١٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٧٩٧٨).

فَهَـذَا كَلَامٌ وَاضِـحٌ بَيِّـنٌ مِنْ نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّ مَعْصِيَةَ الله ﷻ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ مَعْصِيَةٍ تَرْجِعُ عَلَىٰ الفَرْدِ فَحَسْب؛ بَلْ آثَارُهَا مُتَعَدِّيَةٌ عَلَىٰ الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ وَالعِيَّاذُ بِالله.

وَإِنَّ مِنْ أَخْطَرِ المَرَاحِلِ فِي طَرِيقِ المَعْصِيَةِ أَنْ يَتَجَرَّءَ العَبْدُ الضَّعِيفُ عَلَىٰ المُجَاهَرَةِ بِالمَعَاصِي وَالسَّيِّئَات ..يَسْتُرُهُ رَبُّهُ فَيَأْبَىٰ إِلَّا فَضْحَ نَفْسِهِ؛ خَاصَّةَ مَعَ ظُهُورِ المَوَاقِعِ الَّتِي تُسَمَّىٰ (**بِمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِي**) ..فَيُصَوِّرُ نَفْسَهُ وَهُوَ يَرْتَكِبُ المَعْصِيَةَ ثُمَّ يَنْشُرُهَا عَلَىٰ نِطَاقٍ وَاسِعٍ بَيْنَ المُعْجَبِينَ وَالمُعْجَبَات ـ زَعَم ـ فِي (الفَايْسْبُوك، أَوْ التوِيتَر..) لِيَرَاهُ الآلَاف، والله المستعان .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا فُلاَنُ قَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٠٦٩)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٩٠)، وَاللَّفْظُ لَه.

قَالَ أَهْلُ العِلْمِ غَفَرَ اللهُ لَهُم :« يَكُونُ إِهْلَاكُ الجَمِيعِ عِنْدَ ظُهُورِ المُنْكَرِ وَالإِعْلَانِ بِالمَعَاصِي» «شَرْحُ صَحِيحِ البُخَارِي» (١٠/ ٥٣).

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْ تَأْثِيرِ مَعَاصِي الله فِي الأَرْضِ مَا يَحِلُّ بِهَا مَنَ **الخَسْفِ وَالزَّلَازِلِ** وَمَحْقِ بَرَكَتِهَا» «الجَوَابُ الكَافِي» (ص٤٣).

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ: «يَأْذَنُ الله سُبْحَانَهُ لَهَا فِي [بَعْضِ] الأَحْيَانِ بِالتَنَفُّسِ فَتَحْدُثُ فِيهَا الزَّلَازِلُ العِظَامُ، فَيَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ لِعِبَادِهِ الخَوْف وَالخَشْيَة وَالإِنَابَة وَالإِقْلَاع عَنْ مَعَاصِيهِ وَالتَّضَرُّع إِلَيْهِ وَالنَّدَم، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ وَقَدْ زُلْزِلَتْ الأَرْضُ: إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَقَدْ زُلْزِلَتْ المَدِينَةُ فَخَطَبَهُمْ وَوَعَظَهُمْ وَقَالَ: لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا» «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَة» (١/ ٢٢١).

إِخْوَانِي فِي الله:

قَبْلَ أَيَّامٍ قَلَائِلَ كُنَّا مَعَ حَدَثٍ عَظِيم وَوَاقِعَةٍ جَسِيمَة إِنَّهُ (زِلْزَال) ضَرَبَ مَنْطِقَتَنَا وَارْتَجَّتْ القُلُوبُ قَبْلَ الأَرْضِ، وَاهْتَزَّتْ الأَفْئِدَةُ قَبْلَ اليَابِسَة: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ: ١٠].

لَمَسْنَا وَشَعَرْنَا بِقُدْرَةِ العَزِيزِ الجَبَّار، وَعَظَمَةِ الوَاحِدِ القَهَّار، رَأَيْنَاهَا رَأْيَ العَيْن، وَدَمَعَتْ لِذَلِكَ العَيْن، وَالكُلُّ يُؤَمِّلُ وَيَتَمَنَّىٰ

أَنْ تَسْكُنَ وَتَتَوَقَّف، فَإِنَّ الفُؤَادَ قَدْ ارْتَجَف.

عِنْدَمَا يَضْرِبُ الزِّلْزَال..كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَكُونُ عَلَىٰ حَال.. وَلَكِنْ هَلْ كَانَ الوَاحِدُ مِنَّا يَسُرُّهُ أَنْ تُقْبَضَ رُوحُهُ عَلَىٰ تِلْكَ الحَال؟!

فَشَتَّانَ بَيْنَ مَنْ كَانَ عَلَىٰ طَاعَةِ الرَّحْمَن، وَمَنْ كَانَ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَان..بَيْنَ مَنْ كَانَ أَمَامَ المُسَلْسَلَاتِ الهَابِطَة وَالأَفْلَامِ السَّاقِطَة، وَالأُغْنِيَاتِ المَاجِنَة، وَبَيْنَ مَنْ كَانَ يَتَلَذَّذُ بِالطَّاعَات بِرَكَعَات وَسَجَدَات وَكَلِمَات نَافِعَات..أَبَىٰ أَنْ يَخْتِمَ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ إِلَّا بِرِضَا رَبِّ البَرِيَّات ﷻ.

عِبَادَ الله: وَإِنْ تَعْجَب وَحُقَّ لَكَ أَنْ تَعْجَب مِنْ أُنَاسٍ: زُلْزِلَتْ الأَرْضُ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ فَمَا غَيَّرُوا وَلَا تَغَيَّرُوا، مَا انْتَصَحُوا وَمَا صَحَّحُوا، وَمَا تَابُوا وَلَا آبُوا؛ بَلْ بَقُوا عَلَىٰ مَعَاصِيهِمْ، والله المستعان.

إِنَّ هَذِهِ الآيَاتِ الكَوْنِيَّة عَلَىٰ اخْتِلَافِهَا تَسْتَوْجِبُ مِنَّا وَقْفَةَ اعْتِبَار وَادِّكَار لِتَصْحِيحِ المَسَار فِي طَرِيقِ مَرْضَاةِ العَزِيزِ الغَفَّار، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ].

عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الله يُخَوِّفُ النَّاسَ بِمَا شَاءَ مِنْ آيَةٍ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُون، أَوْ يَذَّكَّرُون، أَوْ يَرْجِعُون، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ

الكُوفَةَ رَجَفَتْ عَلَىٰ عَهْدِ ابْنِ مَسْعُود، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتِبُوه»«جَامِعُ البَيَان» (١٧/ ٤٧٨).

عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَحْضِر الدُّرُوس.. وَنَسْتَثْمِرَهَا فِي تَزْكِيَةِ النُّفُوس؛ وَلْنَتَأَمَّلْ فِي بَعْضِهَا:

١/ قُدْرَة الله تَعَالىٰ: فَهَذِهِ الجِبَالُ مَعَ عُلُوِّهَا، وَالبِحَارُ مَعَ اتِّسَاعِهَا الَّتِي تُدْهِشُ العُقُولَ وَتُحَيِّرُ الأَفْكَار؛ وَلَكِنَّ الَّذِي خَلَقَهَا وَأَوْجَدَهَا قَادِرٌ عَلَىٰ زَحْزَحَتِهَا وَتَغْيِيرِ مَكَانِهَا ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَة]، فَهُوَ سُبْحَانَهُ«حَكِيمٌ عَلِيمٌ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْء، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْء، بَلْ الأَشْيَاء قَدْ دَانَتْ لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَاسْتَكَانَتْ لِعَظَمَتِهِ، وَخَضَعَتْ لِجَبَرُوتِه»«تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَن» (ص٧٩).

فَهُوَ سُبْحَانَهُ «كَامِلُ القُدْرَةِ: فَبِقُدْرَتِهِ أَوْجَدَ المَوْجُودَات، وَبِقُدْرَتِهِ دَبَّرَهَا، وَبِقُدْرَتِهِ سَوَّاهَا وَأَحْكَمَهَا، وَبِقُدْرَتِهِ يُحْيِي وَيُمِيت.. وَلَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا يَفُوتُهُ؛ بَلْ هُوَ فِي قَبْضَتِهِ أَيْنَ كَان، الَّذِي سَلِمَتْ قُدْرَتُهُ مِنَ اللُّغُوبِ وَالتَّعَبِ وَالإِعْيَاءِ وَالعَجْزِ عَمَّا يُرِيد، وَلِكَمَالِ قُدْرَتِهِ كُلّ شَيْءٍ طوْع أَمْرِه وَتَحْتَ تَدْبِيرِه، فَمَا شَاءَ كَان وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ»«فِقْهُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَىٰ» (ص٢٤٥).

أَخِي الغَالِي تَأَمَّلْ مَعِي وَتَدَبَّرْ قَوْلَ الله تَعَالَىٰ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا

بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٨﴾﴾ [سُورَةُ لُقۡمَانَ].

أَيْ «مَا خَلْقُ جَمِيعِ النَّاسِ وَبَعْثُهُمْ يَوْمَ المَعَادِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ قُدْرَتِهِ إِلَّا كَنِسْبَةِ خَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، الجَمِيعُ هَيِّنٌ عَلَيْهِ وَ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [سُورَةُ يسٓ]، ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [سُورَةُ القَمَرِ] أَيْ: لَا يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَيَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْء لَا يَحْتَاج إِلَىٰ تَكَرُّرِهِ وَتَوَكّدِهِ ..

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ أَيْ: كَمَا هُوَ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِهِمْ بَصِيرٌ بِأَفْعَالِهِمْ كَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؛ كَذَلِكَ قُدْرَتُهُ عَلَيْهِمْ كَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.. »«تَفْسِيرُ القُرْآن العَظِيم» (٦/ ٣٤٩).

٢/ لُطْفُ الله بِعِبَادِهِ وَحِلْمُهُ بِهِمْ: لَوْ طَالَ أَوْ دَامَ الزِّلْزَال أَكْثَر مِنْ ذَلِك (وَالله قَادِرٌ عَلَىٰ ذَلِك) لَجَاءَ عَلَىٰ القُرَىٰ فَهَدَمَهَا، وَالمُدُن فَحَطَّمَهَا ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِمۡ مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ].

فَهُوَ سُبْحَانُهُ «لَا يَعْجَلُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِعُقُوبَتِهِمْ عَلَىٰ ذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، يَرَىٰ عِبَادَهُ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِهِ وَيَعْصُونَه، وَهُوَ يَحْلُمُ

عَلَيْهِمْ؛ فَيُؤَخِّرُ وَيُنْظِرُ وَيُؤَجِّلُ وَلَا يُعَجِّلُ، وَيُوَالِي النِّعَمَ عَلَيْهِمْ مَعَ مَعَاصِيهِمْ وَكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ وَزَلَّاتِهِمْ، فَيَحْلُمُ عَنْ مُقَابَلَةِ العَاصِين بِعِصْيَانِهِمْ، وَيُمْهِلُهُمْ كَيْ يَتُوبُوا، وَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالعُقُوبَةِ كَيْ يُنِيبُوا وَيَرْجِعُوا»«فِقْهُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَىٰ» (ص٢٤٥).

٣/ هَلَاكُ الأُمَمِ السَّابِقَة: لَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا القُرْآنُ الكَرِيمُ فِي العَدِيدِ مِنَ المَوَاضِعِ خَبَرَ القَوْمِ السَّابِقِينَ وَحَالَ الأُمَمِ الغَابِرِين وَمَا أَصَابَهَا مِنَ العَذَابِ الأَلِيم لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُل الكِرَام عليهم السلام، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله: «مِنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ تَخْوِيفُ الْعِبَادِ؛ كَمَا يَكُونُ تَخْوِيفُهُمْ فِي سَائِرِ الْآيَاتِ: كَالرِّيَاحِ الشَّدِيدَةِ وَالزَّلَازِلِ وَالْجَدْبِ وَالْأَمْطَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ الَّتِي قَدْ تَكُونُ عَذَابًا كَمَا عَذَّبَ اللَّهُ أُمَمًا بِالرِّيحِ وَالصَّيْحَةِ وَالطُّوفَانِ..»«مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ» (٣٥/ ١٦٩).

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ].

وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٤٠].

وَالمَعَاصِي وَالسَّيِّئَات هِيَ مِنْ مِيرَاثِ هَؤُلَاءِ الأُمَم الَّتِي أَهْلَكَهَا الله«فَاللُّوطِيَّةُ مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ لُوط، وَأَخْذُ الحَقِّ بِالزَّائِدِ وَدَفْعُهُ بِالنَّاقِصِ مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ، وَالعُلُوُّ فِي الأَرْضِ وَالفَسَادُ مِيرَاثٌ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِ فِرْعَونَ، وَالتَّكَبُّرُ وَالتَّجَبُّرُ مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ هُودٍ، فَالعَاصِي لَابِسٌ ثِيَابَ بَعْضِ هَذِهِ الأُمَمِ وَهُمْ أَعْدَاءُ الله»«الجَوَابُ الكَافِي» (ص٣٧).

٤/ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الصُّغْرَىٰ: وَهَذِهِ العَلَامَاتُ الَّتِي تَقَعُ تَدُلُّ عَلَىٰ قُرْبِ وُقُوعِ السَّاعَةِ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدِ زَمَنِهَا بِالضَّبْطِ، ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ].

«وَالحِكْمَةُ فِي تَقْدِيمِ الأَشْرَاط وَدَلَالَةِ النَّاسِ عَلَيْهَا تَنْبِيهُ النَّاسِ عَنْ رَقْدَتِهِمْ وَحَثِّهِمْ عَلَىٰ الاحْتِيَاطِ لِأَنْفُسِهِمْ بِالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ كَيْلَا يُعَافَصُوا بِالحَوْلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ تَدَارُكِ الفَوَارِط مِنْهُمْ، فَيَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَكُونُوا بَعْدَ ظُهُورِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ قَدْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَانْفَطَمُوا عَنْ الدُّنْيَا، وَاسْتَعَدُّوا لِلسَّاعَةِ المَوْعُودِ بِهَا» «التَّذْكِرَة» (٣/ ١٢١٧).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ،**

وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ - وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ - حَتَّىٰ يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٠٣٦).

ذَكَرَ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الحَدِيثَ تَحْتَ تَبْوِيب: (بَاب مَا قِيلَ فِي الزَّلَازِلِ وَالآيَات).

قَالَ الإِمَامُ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا كَثْرَةُ الزَّلَازِلِ، فَهُوَ مَقْصُودُ البُخَارِي فِي هَذَا البَابِ مِنَ الحَدِيثِ.

وَالظَّاهِرُ: أَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَىٰ الزَّلَازِلِ المَحْسُوسَة، وَهِيَ ارْتِجَافُ الأَرْضِ وَتَحَرُّكُهَا، وَيُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَىٰ الزَّلَازِلِ المَعْنَوِيَّةِ، وَهِيَ كَثْرَةُ الفِتَنِ المُزْعِجَةِ المُوجِبَةِ لِارْتِجَافِ القُلُوبِ، وَالأَوَّلُ أَظْهَر؛ لِأَنَّ هَذَا يُغْنِي عَنْهُ ذِكْرُ ظُهُورِ الفِتَنِ» «فَتْحُ البَارِي» (٦/ ٣٢٣).

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «[وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ] قَدْ وَقَعَ فِي كَثِيرٍ مِنَ البِلَادِ الشَّمَالِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ كَثِيرٌ مِنَ الزَّلَازِلِ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ المُرَادَ بِكَثْرَتِهَا شُمُولُهَا وَدَوَامُهَا» «فَتْحُ البَارِي» «١٣/ ٨٧».

٥/ القِيَامَةُ الكُبْرَىٰ: الزِّلْزَالُ الأَعْظَم الَّذِي يَكُونُ يَوْمَ القِيَامَة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ

حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ].

بَلْ أَنْزَلَ الله سُورَةً كَامِلَةً بِاسْمِ ﴿سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

مَوْعِظَةٌ:

«يَا مَنْ عَلَيْهِ مَنَازِلُ المَوْتِ تَدُور، وَهُوَ مُسْتَأْنِسُ بِالمَنَازِلِ وَالدُّور، لَابُدَّ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ القُصُور عَلَىٰ التَّوَانِي وَالقُصُور...لَوْ تَصَوَّرْتَ النَّفْخَ فِي الصُّور وَالسَّمَاءُ تَتَغَيَّرُ وَتَمُور، وَالنُّجُومُ تَنْكَدِرُ وَتَغُور، وَالصِّرَاطُ مَمْدُودٌ وَلَابُدَّ مِنْ عُبُور، وَأَنْتَ مُتَحَيِّرٌ فِي الأُمُور، تَبْكِي عَلَىٰ خِلَافِ المَأْمُور، سَتُحَاسَبُ عَلَىٰ الأَيَّامِ وَالشُّهُور، وَتَرَىٰ مَا فَعَلْتَهُ مِنْ فُجُور فِي النَّهَارِ وَالدَّيْجُور، سَتَحْزَن بَعْدَ السُّرُور عَلَىٰ تِلْكَ الشُّرُور إِذَا وُفِّيْتَ الأُجُور، وَبَانَ المُوَاصَلُ مِنَ المَهْجُور، وَنَجَا المُخْلِصُون دُونَ أَهْلِ الزُّور، تُصَلِّي وَلَكِنْ بِلَا حُضُور، وَتَصُومُ وَالصَّوْمُ بِالغِيبَةِ مَغْمُور..» «التَّبْصِرَة» (ص٢٦٨).

نَصِيحَةٌ:

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ العَزِيز بن بَاز رَحِمَهُ اللهُ :«فَالوَاجِبُ عِنْدَ الزَّلَازِلِ وَغَيْرِهَا مِنَ الآيَات وَالكُسُوف وَالرِّيَاح الشَّدِيدَة وَالفَيَضَانَات، البِدَار بِالتَّوْبَةِ إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ، وَالضَّرَاعَةُ إِلَيْهِ وَسُؤَالُهُ العَافِيَة، وَالإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِهِ وَاسْتِغْفَارُهُ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عِنْدَ الكُسُوف: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَىٰ ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»، وَيُسْتَحَبُّ أَيْضًا رَحْمَةُ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا»،«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»،وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ».

وَرُوِيَ عَنْ عُمَر بْنِ عَبْدِ العَزِيز رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ إِلَىٰ أُمَرَائِهِ عِنْدَ وُجُودِ الزَّلْزَلَة: أَنْ يَتَصَدَّقُوا»«مَجْمُوعُ فَتَاوِيه»(٩/ ١٥٠).

وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

مُحِبُّكُم في الله
أبو عبد العزيز منير الجزائري
abou_abdelaziz@hotmail.fr

دروس وعبر

صَدَرَ للمؤلف

ISBN 978-9931-616-84-9
9 789931 616849